

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

@ 111 @ من شيوخه وأقرانه وتلامذته .

وجميع مصنفاته مقبولة مرغوب فيها رحل الناس لأجلها وأخذوها عنه وتداولوها وقرأوها وكتبوها في حياته وطارت في جميع بقاع الأرض وله فيها تعبيرات رائعة وألفاظ رشيقة غالباً لم يسلك مسلكه فيها أهل عصره ولا من قبلهم ولا من بعدهم .

وبالجملة فالناس في التاريخ من أهل عصره فمن بعدهم عيال عليه ولم يجمع أحد في هذا الفن كجمعه ولا حرره كتحريره .

قال البدر النابلسي في مشيخته كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم جيد الفهم ثاقب الذهن وشهرته تغنى عن الإطناب فيه وقد أكثر التشنيع عليه تلميذه السبكي وذكر في مواضع من طبقاته للشافعية ولم يأت بطائل بل غاية ما قاله أنه كان إذا ترجم الظاهرية والحنابلة أطال في تقريرهم وإذا ترجم غيرهم من شافعي أو حنفي لم يستوف ما يستحقه وعندى أن هذا كما قال الأول .

(وتلك شكاة ظاهر عنك عارها) .

فإن الرجل قد ملئ حباً للحديث وغلب عليه فصار الناس عنده هم أهله وأكثر محققهم وأكابرهم هم من كان يطيل الثناء عليه إلا من غلب عليه التقليد وقطع عمره في اشتغال بما لا يفيد .

ومن جملة ما قاله السبكي في صاحب الترجمة أنه كان إذا أخذ القلم غضب حتى لا يدرى ما يقول وهذا باطل فمصنفاته تشهد بخلاف هذه المقالة وغالبها الإنصاف والذب عن الأفاضل وإذا جرى قلمه بالوقية في أحد لم يكن من معاصريه فهو إنما روى ذلك عن غيره وإن كان من معاصريه فالغالب أنه لا يفعل ذلك إلا مع من يستحقه وإن وقع ما يخالف ذلك نادراً فهذا شأن البشر وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم والأهوية تختلف والمقاصد تتباين